

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا : أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه { وإن يمسسك ^ا بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير } كقوله تعالى : { ما يفتح ^ا للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده } الآية وفي الصحيح : أن رسول ^ا صلى ^ا عليه وسلّم كان يقول [اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد] ولهذا قال تعالى { وهو القاهر فوق عباده } أي وهو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة وعنت له الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه { وهو الحكيم } أي في جميع أفعاله { الخبير } بمواضع الأشياء ومحالها فلا يعطي إلا من يستحق ولا يمنح إلا من يستحق ثم قال { قل أي شيء أكبر شهادة } أي من أعظم الأشياء شهادة { قل ^ا شهيد بيني وبينكم } أي هو العالم بما جئتم به وما أنتم قائلون لي { وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ } أي وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى : { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله : { ومن بلغ } من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى ^ا عليه وسلّم زاد أبو خالد وكلمه ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر : عن محمد بن كعب قال : من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى ^ا عليه وسلّم وقال عبد الرزاق : عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : { لأنذركم به ومن بلغ } إن رسول ^ا صلى ^ا عليه وسلّم قال [بلغوا عن ^ا فمن بلغته آية من كتاب ^ا فقد بلغه أمر ^ا] وقال الربيع بن أنس : حق على من اتبع رسول ^ا صلى ^ا عليه وسلّم أن يدعو كالذي دعا رسول ^ا صلى ^ا عليه وسلّم وأن ينذر بالذي أنذر وقوله { إنكم لتشهدون } أيها المشركون { أن مع ^ا آلهة أخرى قل لا أشهد } كقوله { فإن شهدوا فلا تشهد معهم } { قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون } ثم قال تعالى مخبرا عن أهل الكتاب : أنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلى ^ا عليه وسلّم ونعته وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده { الذين خسروا أنفسهم } أي خسروا كل الخسارة { فهم لا يؤمنون } بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشرت به الأنبياء ونوهت به في قديم الزمان وحديثه ثم قال { ومن أظلم ممن افترى على ^ا كذبا أو كذب بآياته } أي لا أظلم ممن تقول على ^ا فادعى أن ^ا أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات ^ا

وحججه وبراهينه ودلالاته { إنه لا يفلح الظالمون } أي لا يفلح هذا ولا هذا لا المفترى ولا
المكذب